الفصل الثالث : بناء الترجمة عند ياقوت .

(١) – تحليل لترجمة أبي العلاء المعري .

إن للشخصية في معجم الأدباء بناء خاصا تتميز به فصاحبه يضع لنا صورة قريبة من حقيقة الشخص الذي يتناوله بالترجمة ، ويرسم لنا أبعاد شخصيته ويتجول بشمول بين جنبات حياة تلك الشخصية ، ويرسم أبعادها ويحيط جميع أطرافها بخيط رفيع مرتبط غير منفصل ، ويتوخى الحذر في كل ذلك حتى لا يفسد الترجمة ، مبتعدا عن التطويل الذي لا طائل منه وإن كان ابتعد عن الصواب مرة ، أو لم يلم بالترجمة أحيانا إلا أنه استطاع أن يصل بكتابه إلى شبه الكمال إن لم يكن الكمال كله .

وقد تميز ياقوت عن غيره من المترجمين في بنائه للترجمة في عدة نقاط منها على سبيل المثال لا الحصر تميز بذكر عائلة المترجم لهم إن كانوا من ذوي الرئاسة أو تميزوا في الأدب أو الشعر أو غير ذلك من العلوم ، وكذا ذكره للأخبار الطريفة ، وذكره للاختلاف الواقع بين المؤرخين سواء في الاسم ، أو في تاريخي الميلاد والوفاة أو أحدهما ، وكذا ذكره للترجمة التي ذكرت في مصدر واحد حتى تتم الإفادة الكاملة من معجمه .

فبداية الترجمة عند ياقوت لم يتميز بها عن غيره ، فهو يذكر الاسم والنسب كغيره من المترجمين والمؤرخين ، ويذكر كنيته إن كان له كنية فمن ذلك :

" أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر ..... "(١) .

" أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني ، أبو الفضل النيسابوري "(٢) .

" خلف بن هشام بن ثعلب البزار أبو محمد " (٣).

---

(١) معجم الأدباء : ٤٦٨/١ ، ترجمة : ١٦٠ .
(٢) المصدر السابق : ٢/ ٥١١ ، ترجمة : ١٩١ .
(٣) المصدر السابق : ٣ / ١٢٥٩ ، ترجمة : ٤٦٤ .

" ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن فاشة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمه الطويلة من بني عبد الدار ابن قصي "(١).

وفي ذكره للنسب استقصاء تام حتى إنه قد ذكر أمه، فياقوت في مسألة الاسم والنسب تلك لا يترك لنا شيئا من اسمه حتى يذكره، وكذا فهو في أحيان كثيرة يذكر لنا الاختلاف الواقع في نسبه _ إن كان ذلك في الإمكان _ فهو مثلا في ترجمته للخليل بن أحمد، يقول :

" الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم ....."(٢).

وكذا في ترجمة أبي الأسود الدؤلي، يقول :

" وأما نسبه، فيقال فيه الدؤلي منسوب إلى الدئل بكسر الهمزة، وإنما فتحوها للنسبة كما نسبوا إلى تغلب تغلبي، وإلى يثرب يثربي والدئل دابة بين ابن عرس والثعلب واختلفوا في ذلك ...."(٣).

وفي أحيان كثيرة إن كان للشخصية التي يترجم لها ياقوت اسما اشتهرت به يذكر ذلك حتى لا يصاب الباحث في معجمه بالزيغ، وحتى يصل إلى مبتغاه بسهولة ويسر فمثلا يقول في ترجمته للحسين بن محمد بن عبد الوهاب (٤) بعد أن ذكر اسمه ونسبه : " المعروف بالبارع البغدادي "(٥).

---

(١) " معجم الأدباء " : ٤/ ١٤٦٤ ، ترجمة : ٦١٨ .
(٢) " المصدر السابق " : ٣/ ١٢٦٠ ، ترجمة : ٤٦٥ .
(٣) " المصدر السابق " : ٤/ ١٤٦٥ ، ترجمة : ٨١٦ .
(٤) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٤١ ، ترجمة : ٣٩٣ .
(٥) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٤١ ، ترجمة : ٣٩٣ .

ويقول في ترجمة الحسين بن علي " أبو عبد الله المعروف بابن قم الزبيدي اليمني "(١).

وقوله في ترجمة علي بن الحسن بن عنتر " المعروف بشميم الحلى "(٢).

وقوله في ترجمة عيسى بن مينا بن وردان " المعروف بقالون القارئ وكنيته أبو موسى "(٣).

وياقوت يذكر في الترجمة لقب من يترجم لهم إن كان له لقب اشتهر به وهذا أيضا من التسهيل على القارئ للمعجم ، فهناك من العلماء من اشتهر بين أهل العلم بلقبه وليس باسمه ، من ذلك قوله في ترجمة الحسين ابن محمد يقول :

" **الملقب بالأصمعي الصغير** "(٤).

وكذا قوله في ترجمة علي بن الحسن بن علي حيث يقول :

" أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه "(٥).

" علي بن سليمان يلقب حيدرة اليمني النحوي التميمي "(٦).

وينتقل ياقوت بعد ذكر النسب واللقب والكنية إلى ذكر الاسم الذي اشتهرت به الشخصية التي يترجم لها إلى إثبات تاريخي الميلاد والوفاة ، وقد قمت بعمل دراسة إحصائية جمعت فيها كل تواريخ الميلاد والوفاة التي وردت في المعجم باستثناء الملحق الذي كتبه د/ إحسان عباس ، وهو عبارة عن سبع تراجم فقط ، فوجدت أن ياقوتا قد أثبت ٨٢٠ تاريخ وفاة من أصل ١٢٦٤ ترجمة أي بنسبة ٩٠٦٤ ٪ وهذه لا بأس بها ، تدل

(١) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٣٤ ، ترجمة : ٣٩١ .
(٢) " المصدر السابق " : ٤ / ١٦٨٩ ، ترجمة : ٧٤٢ .
(٣) " المصدر السابق " : ٥ / ٢١٤٤ ، ترجمة : ٨٨٤ .
(٤) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٤١ ، ترجمة : ٣٩٢ .
(٥) " المصدر السابق " : ٢ / ٤٩٣ ، ترجمة : ١٨٠ .
(٦) " المصدر السابق " : ٤ / ١٧٦٩ ، ترجمة : ٧٦٣ .

على أن ياقوتا قد بذل قصارى جهده حتى يصل إلى هذه النسبة العالية مقارنة بكتب التراجم الأخرى ، وهو بهذا قد حقق وعده الذي وعد به القارئ من أنه " لم آل جهدا في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات " وهناك تواريخ وفاة تركها ياقوت مبهمة كقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف :

" مات بعد سنة ست عشرة وأربعمائة "(١) .

وقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي " مات بعد سنة خمسمائة "(٢) .

وقوله في ترجمة أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم :

" مات أحمد بن يوسف في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة وأظنها سنة أربعين وثلاثمائة "(٣) .

وأحيانا يذكر صاحبنا حصر لتاريخ الوفاة بين عامين كقوله في ترجمة أحمد بن يعقوب بن ناصح الأصبهاني :

" مات بنيسابور قبل الخمسين وبعد الأربعين والثلاثمائة " (٤).

قوله في ترجمة المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي :

" مات المؤمل بن أميل في حدود تسعين ومائة "(٥) .

وبلغت عدد التراجم التي ترك ياقوت تاريخ وفاتها مبهما ، أو قال فيها عدة تواريخ أو تركها بدون تحديد ٨٨ ترجمة أي بنسبة ١٠,٧ ٪ وهي نسبة قليلة دعت إليها الحاجة

(١) معجم الأدباء : ٢ / ٤٩١ ، ترجمة : ١٧٧ .
(٢) معجم الأدباء : ٢ / ٥١٧ ، ترجمة : ١٩٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٢ / ٥٥٩ ، ترجمة : ٢١٤ .
(٤) معجم الأدباء : ٢ / ٥٥٧ ، ترجمة : ٢١٢ .
(٥) " معجم الأدباء " : ٦ / ٢٧٣٥ ، ترجمة : ١١٦٨ .

حيث كان ياقوت دقيقا بحيث يذكر كل تواريخ الوفاة التي بين يديه وإن ثبت عنده أحدهما ذكر ترجيحه له ، وهناك شخصيات لم يأبه الناس بتسجيل تاريخ وفاتها فأملوه عليه ، أو ذكره في كتبهم دون تحديد فكان لزاما عليه أن يذكره .

وبالنسبة لتاريخ الميلاد وجد أنه قليل جدا مقارنة بتاريخ الوفاة ، وفي هذا يقول د / السيد محمد ديب معلقا على إحدى أقوال ياقوت : " ولم آل جهدا في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات " إن العبارة هنا دقيقة ومحددة فهو قد قدم الوفيات على المواليد في الذكر لأنه يعلم أن الميلاد صعب الضبط عسير التقييد بخلاف الوفاة لأن الشخص عندما يولد لا يعلم ماذا يكون من شأنه ومستقبله ، فلا تكون هناك حاجة أو ضرورة إلى الاهتمام بتاريخ مولده ، فإذا مات تكون شهرته أو مكانته دالة عليه ومنبهة إليه "(١) ، وهذه الصعوبة في إثبات تاريخ الميلاد بسبب أن الطفل عندما يولد لا يعرف أهله أو الناس أنه سيكون ذو شأن ، وأنه سيصير عالما ، لذا فكل من حوله لا يهتمون بحفظ تاريخ ميلاده بعكس تاريخ الوفاة فقد صار عالما يرغب الناس في التقرب منه ، وعندما يموت تصير فاجعة بالنسبة لطلبة العلم الذين يتعلمون على يديه وبالنسبة للعامة الذين يستفيدون من علمه ، فنجدهم يهتمون بإثبات تاريخ وفاته .

وأتفق مع الدكتور الديب في هذا الرأي ، وقد دلت الدراسة الإحصائية للمعجم على هذه النظرية حيث بلغت عدد التراجم التي ذكر لها ياقوت تاريخا للميلاد ٢٣٨ ترجمة أي بنسبة ١٨,٨ ٪ وهي نسبة ضئيلة طبعا ، هذا ولم يخل تاريخ الميلاد من ترجيح أو إبهام ذكره ياقوت كما فعل مع تاريخ الوفاة علما بأن هناك تراجم لم يذكر لها ياقوت تاريخ وفاة

(١) " ياقوت الحموي أديبا وناقدا " : ١٨١ الطبعة الأولى ، طبعة دار الطباعة المحمدية ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨ م .

لأنها كانت معاصرة له وقد مات قبلها كالقفطي وعبد اللطيف البغدادي مثلا فكان من الممكن أن تكون نسبة الوفيات أعلى من هذه النسبة المذكورة لو أطال الله في عمر ياقوت .

ومن منهجه في بناء الترجمة أنه يذكر مكان الميلاد وكذلك مكان الوفاة إن عرفهما أو وجد ذلك في أحد مصادره ، وقد قمت بعمل إحصائيه عن ذلك، فوجدته قليلا وذلك للأسباب السابقة ، وأثبتت الإحصائية أن ذكره لمكان الوفاة أكثر من ذكره لمكان الميلاد .

وياقوت في ترجمته يذكر كل ما يتصل بالشخصية التي يترجم لها من عائلة فيتكلم عن عائلة من يترجم له ، وذلك إن كانت عائلة فيها أشخاص قد عرفوا بالأدب أو بالشعر أو ممن ذاع خبرهم وانتشر ذكرهم بين كتب التاريخ أو الأدب أو غيرها من المؤلفات ومن ذلك :

قوله في ترجمة أحمد بن الحسن بن محمد :

" وكان والده أبو عبد الله الدينوري مقدما مكرما يزور بحسن خطه على أبي عبيد الله ابن مقلة تزويرا لا يكاد يفطن له وله ولد أديب يقال له أبو يعلي عبد الجبار ذكر في بابه "(١) .

قوله في ترجمة أحمد بن الحسن بن محمد بن اليمان :

" ومحمد بن الحسين بن مهران الأديب الفقيه الكاتب ، أخو أبي بكر سمع عبد الله بن شيرويه وأقرانه "(٢) .

قوله في ترجمة أحمد بن علي بن يحيى المنجم :

وأما نسبهم وولاؤهم وأوليتهم فنذكره في باب جده يحيى بن أبي منصور المنجم إن شاء الله ، وكان أحمد هذا نبيلا فاضلا "(٣) .

---

(١) " معجم الأدباء ": ١ / ٢٣٢ ، ترجمة : ٧٥ .
(٢) " المصدر السابق " : ١ / ٢٣٤ ، ترجمة : ٧٧ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٣٦٩ ، ترجمة : ١١٢ .

وقوله في ترجمة سعيد بن هاشم :

" كان هو وأخوه أبو بكر أديبي البصرة وشاعريها في وقتهما وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن "(١) .

وقوله في ترجمة أحمد بن سليمان بن وهب :

مشهوران مذكوران في هذا الكتاب ونسب هذا البيت مستقصي في ترجمة الحسن بن وهب "(٢) .

وقوله في ترجمة أحمد بن محمد بن الوليد :

" من أهل بيت علم ولأبيه وجده ذكر في هذا الكتاب ، وتراجم في مواضعها "(٣) .

وكعادة ياقوت يعمل لصالح القارئ لكتابه فهو لا يذكر عائلة من يترجم لهم دون أن يرشد قارئه لوجود الترجمة من عدمها في الكتاب وهذا مما يميز معجم ياقوت.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى عرض شيء من أخباره ذاكرا مصدره وقد تقصر الترجمة حتى لا تتعدى سطرا أو سطرين ، وقد تطول حتى تبلغ كتابا منفردا ، وهذا تبعا لتوفر مادة الترجمة أو عدمها .

وياقوت يذكر شيئا من أشعار هذه الشخصية إن كان لها شعر ، وهو ينتقي هذه الأبيات انتقاء جيدا ولم يقف عند حد إيرادها فقط بل تخطى ذلك . ففي أحيان كثيرة كان يشرحها ويوضح معانيها .

---

(١) " المصدر السابق " : ٣ / ١٣٧٧ ، ترجمة : ٥٥٠ .
(٢) " المصدر السابق " : ١ / ٢٦٩ ، ترجمة : ٩ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٤٦٠ ، ترجمة : ١٥٤ .

ثم ينتقل ياقوت إلى عرض مؤلفات من يترجم له ، وأكثر المصادر التي نقل منها ياقوت إنتاج المترجم لهم " الفهرست " لابن النديم ، وهذا لاهتمام صاحبه بمؤلفات الآخرين ، فمن ذلك قوله في ترجمة النضر بن شميل بن خرشة:

" وله من التصانيف : كتاب الصفات في اللغة خمسة أجزاء والمدخل إلى كتاب العين ، وكتاب غريب الحديث ..... "(١) .

ـ وقوله في ترجمة محمد بن المستنير :

" وله من التصانيف : كتاب معاني القرآن ، وغريب الحديث ، وإعراب القرآن والمثلث في اللغة ..... "(٢) .

وليس معنى هذا أن ياقوتا كان يفرد مكانا خاصا لذكر المصنفات وهو آخر الترجمة، فقد يذكر مصنفاته في وسط الترجمة ، كقوله في ترجمة الحسن ابن إبراهيم بن زولاق :

" وله من الكتب : كتاب سيرة محمد بن طغج الإخشيد ، كتاب سيرة جوهر كتاب سيرة الماذرائيين ..... "(٣) .

ووقع ذكر هذه المصنفات في منتصف الترجمة تقريبا ولم يقف صاحبنا إلى حد السرد فقط ، بل تعداه إلى توضيح عدد مجلدات الكتاب ، ونقده وعرض فوائده وقيمته وبين هل هذا الكتاب تمت سرقته أم لا ، وذكر لنا رؤيته للكتاب من عدمها .

هذا ولا يغفل ياقوت ذكر شيوخ وأساتذة من يترجم لهم ، ولا يغفل أيضا ذكر من تتلمذ على يديه ، وفي ذلك يقول د: الديب :

---

(١) " معجم الأدباء " : ٦ / ٢٧٦١ ، ترجمة ١١٨٩ .
(٢) " المصدر السابق " : ٦ / ٢٦٤٧ ، ترجمة : ١١١٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ٢ / ٨٠٨ ، ترجمة : ٣٠١ .

" وهو يذكر اسم ونسب من يترجم له وشيئا من أخباره وأشعاره ، ويذكر تصانيفه والفنون التي برع فيها ، وشيوخه وأساتذته ومن تتلمذ على يديه "(١) .

من ذلك قوله في ترجمة أحمد بن محمد بن الفضل أبو بكر الخزرَز :

" سمع أبا بكر بن دريد وأبا بكر بن السراج وأبا بكر بن الأنباري ، وروى كثيرا من مصنفاتهم "(٢) .

جملة من ذلك :

" وقرأ القرآن على أبي القاسم زيد بن علي بن أحمد بن أبي بلال الكوفي ، وأبي بكر بن النقاش ، وأبي العباس ....."(٣) .

" أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي ، وأبي يعقوب النجيرمي وغيرهم "(٤) .

" قرأ القرآن على أبي يعلي الموصلي وغيره ، وروى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر "(٥) .

" وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ، وأبو عبد الله الحسين بن علي بن مهجل الضرير الباقدرائي ، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن جعفر الواسطي المقرئ الضرير وغيره "(٦) .

وسنأخذ ترجمة محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء(٧) كمثال على ما ذكرناه في بناء الترجمة عند ياقوت ، يقول :

---

(١) " ياقوت الحموي أديبا وناقدا " : ١٧١ .
(٢) " معجم الأدباء " : ٢ / ٤٨٣ ، ترجمة : ١٦٩ .
(٣) " المصدر السابق " : ٢ / ٤٨٣ – ٤٨٤ ، ترجمة : ١٧٠ .
(٤) " المصدر السابق " : ٣ / ١١٢٩ ، ترجمة : ٣٨٧ .
(٥) " المصدر السابق " : ٣ / ١٤٢ ، ترجمة : ٣٩٣ .
(٦) " المصدر السابق " : ٣ / ١٤٢ ، ترجمة : ٣٩٣ .
(٧) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٣٠٣ – ٢٣٠٤ ، ترجمة : ٩٥٣ .

" محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء أبو الطيب النحوي : من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف إخباري .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في " تاريخه " : مات أبو الطيب الوشاء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، وله ابن يعرف بابن الوشاء ؛ حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن (أبي) أسامة وثعلب والمبرد .

قال الخطيب : روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد .

قال ابن النديم : وكان نحويا معلما لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي. وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو . كتاب الجامع في النحو . كتاب في المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الإنسان. كتاب خلق الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزهر في الأنوار والزهر . كتاب السلوان . كتاب المذهب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الطرف الكبير . كتاب الموشى .

نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني الشافعي أحمد ابن محمد أنشدني بن محمد بن حفص ، أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

(من السريع)

لا صبر لي عنك سوى أنني ... أرضى من الدهر بما يقدر

من كان ذا صبر فلا صبر لي ... مثلي عن مثلك لا يصبر

ومن خطه وإسناده للوشاء :

(من البسيط)

يقوم مقام الروح في الجسد ... لا تحسبني خلي البال من سهد

حاشاك من أرقى حاشاك من قلقي حاشاك من طول ما ألقى من الكمد
عليك جديد لا نفـــاد لـــه أوهى فؤادي وأوهى عقدة الجلـد
والصبر عنك قليل مضرم قلقـــا بين الضلوع كصبر الأم عن ولـد"(١)

وفي هذه الترجمة بالرغم من صغر حجمها بالمقارنة ببعض الترجمات الطويلة والتي من الممكن أن تكون كتابا بمفردها كترجمة أبي العلاء المعري مثلا ، إلا أنها قد احتوت على كل الأدوات التي استخدمها الحموي ليبني بها ترجمته ، فقد ذكر فيها اسمه ولقبه واستفاد من سابقيه فنقل منهم كابن الجوزي والخطيب ، وذكر لنا ابنا من أبنائه اشتهر بالعلم ، كما ذكر لنا سنة وفاته ، وذكر لنا شيئا من كتبه التي تركها لنا ، كما استشهد ببعض الأبيات التي قالها الوشاء .

– تحليل لتناول ياقوت لترجمة أبي العلاء المعري .

السبب في البدء بهذه الترجمة يكمن في كبر حجمها ، وكونها أنموذجا لأهم التراجم في هذا المعجم .

بدأ ياقوت ترجمته لأبي العلاء بذكر نسبه كعادته في كل تراجمه ، وقد استقصى نسبه كاملا ، يقول :

" أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري : هو أبو العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود ...." .

ثم يذكر موطنه ، يقول : " من أهل معرة النعمان من بلاد الشام "(٢) .

وعلى الرغم من هذا النسب الطويل إلا أنه لم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وذلك لشهرة المعري وذيوع صيته .

---

(١) " معجم الأدباء " : ٥ / ٢٣٠٣ – ٢٣٠٤ ، ترجمة رقم : ٩٥٣ .
(٢) " معجم الأدباء " : ١ / ٢٩٥ ، ترجمة : ١٠١ .

وإيثارا للاختصار الذي من منهجه ذكر ياقوت شخصية المعري ، والعلوم التي نبغ فيها في كلمات قلائل إلا أنها شافية كافية ، وفيها تتضح لنا قدرته على الصياغة الأدبية ، يقول :

" كان غزير الفضل ، شائع الذكر ، وافر العلم ، غاية في الفهم ، عالما حاذقا بالنحو ، جيد الشعر ، جزل الكلام ، شهرته تغني عن صنعته وفضله ينطق بسجيته "(١) .

ثم يرجع فيذكر تاريخ ميلاده ، وتاريخ إصابته بالجدري الذي أدى إلى ذهاب بصره ، ثم يذكر سفره لبغداد ، كما ذكر تاريخ وفاته .

واستطرد ياقوت وابتعد كثيرا عن الكلام على أبي العلاء المعري ، فتحدث عن عائلته ، فتناول السابقين له واللاحقين عليه ، فممن سبقوه من عائلته وكان لهم صلة بالأدب جده سليمان بن أحمد ، وعم والده ، ثم ذكر أخويه أبا المجد محمد بن عبد الله وعبد الواحد أبو الهيثم ، وذكر شيئا من أشعارهم ، ولكنه لم يتعرض لكل أهله ، حتى لا تطول الترجمة أكثر من ذلك ، يقول :

" وكان في آبائه وأعمامه ومن تقدمه من أهله ، وتأخر عنه من ولد أبيه ونسله فضلاء وقضاة وشعراء أنا ذاكر منهم من حضرني لتعرف نسبه في العلم كما عرفت ما أعطيه من الفهم "(٢) .

وحتى لا تختلط الأمور بالنسبة لعائلة المعري ومن تقدم منهم ومن تأخر ذكر ياقوت المتأخرين منهم متعاقبين ، يقول :

" وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالما فاضلا ، وأنا ذاكرهم هاهنا ليجيئوا على نسق واحد "(٣) .

---

(١) " المصدر السابق " : ١ / ٢٩٥ .
(٢) " المصدر السابق " : ١ / ٢٩٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٢٩٧ .

ثم يعرفهم ويعرض شيئًا من أشعارهم ، ولكنه يقول إنهم أكثر من هذا ، وأنه قام بحذف بعض أسمائهم ، يقول : " **وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصارا** " فهو ما زال يذكر منهجه في الاختصار ، لذا قام بذكر السبب في ذكره لهؤلاء النفر من عائلته ، يقول : " **وإنما قصدت الإخبار عن أعراق أبي العلاء في بيت العلم** " .

ثم يتعرض لبعض الأحداث التي وقعت لأبي العلاء قبل أن يدخل في معتزله ، ولكنه لم يحدد المصادر التي نقل منها ، بل أشار إليها قائلا : " **ونقلت من بعض الكتب** " وليس هذا مجال نقل تلك الأخبار .

ـ المصادر النقلية والسمعية التي نقل منها ياقوت في هذه الترجمة :

– تتمة اليتيمة .

" وقال أبو منصور الثعالبي في تتمة يتيمة الدهر ...."(١) .

– الأنساب للسمعاني .

" حدث أبو سعد السمعاني في كتاب النسب وقد ذكر المعري "(٢) .

" قرأت بخط أبي سعد " .

(٣) – لزوم ما لا يلزم .

" ومن شعره الدال على سوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم "(٣) .

(٤)– فلك المعاني .

" **قرأت في كتاب فلك المعاني** " .

واعتمد على المصدر السمعي في خضم حديثه عن أخلاق أبي العلاء ،

---

(١) " معجم الأدباء " : ١ / ٣٠٧ .
(٢) " المصدر السابق " : ١ / ٣٠٧ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ٣٣٥ .

يقول : " والناس في أبي العلاء مختلفون ، فمنهم من يقول : إنه كان زنديقا وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ، ومنهم من يقول : كان زاهدا عابدا متقللا يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا " .

ونقل من المصادر النقلية ما يؤكد كلام هؤلاء النفر الذين قالوا إنه كان زاهدا فنقل عن كمال الدين أبي القاسم من أشعار المعري ما يدل على زهده .

ثم يعد مؤلفات المعري فيذكر مؤلفاته في حدود ثماني صفحات ، ونقل ذلك من مصدر موثوق وهو خط أحد مستملي أبي العلاء ، يقول : " فهرست كتبه على ما نقلته من خط أحد مستملي أبي العلاء " .

ولاجتهاده وحرصه على الأمانة وأن يكون معجمه متفردا في بابه كتب لنا مؤلفات أخرى للمعري لم يذكرها هذا المستملي ، يقول : " ومن غير خطه "، وفي نهاية سرده لمؤلفات المعري ، يقول : " جماعة من أصحاب أبي العلاء قالوا : وله بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم ، أو تمت وشذ عنا أسماؤها " .

وهذا يدل على دقة ياقوت في البحث حيث أثبت كل ما قاله أصحاب أبي العلاء ولم يعتمد على واحد منهم فقط ، ويدلنا أيضا على حسن اختياره للمصدر الذي يأخذ منه مبتغاه ، فبالطبع أصحاب المعري هم أكثر الناس قربا منه ومعرفة بمؤلفاته .

ثم يذكر جملة من الأبيات الدالة على سوء معتقده ، ولم يكتف بإيرادها فقط ، بل علق عليها كعادته ، من الأبيات التي علق عليها أبيات نقلها من رسالة الغفران للمعري وكانت على لسان سمير بن أدكن وهو يهودي من يهود خيبر ، فعلق عليها قائلا : " وهذا يشبه أن يكون شعره قد نحله هذا اليهودي ، أو أن إيراده لمثل هذا واستلذاذه به من أمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه " .

وعلق على بيتين للمعري من " اللزوميات " . وهما :

(من البسيط)

تناقض مالنـــا إلا السكـــوت لـــه وأن نعوذ بمولانا من النـــار

يد بخمس مئين عسجـــدا فديـــت ما بالها قطعت في ربع دينار

يقول معلقا : " قال المؤلف : كأن المعري حمار لا يفقه شيئا ، وإلا فالمراد بهذا بين : لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار لكثر سرقة ما دونها طمعا في النجاة ، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار لكثر من يقطعها ويؤدي ربع دينار دية عنها نعوذ بالله من الضلال " .

ثم ذكر ياقوت من أبيات المعري ما يدل على كفره تصريحا ، يقول :

(من الوافر)

عقول يستخف بها سطـــور ولا يدري الفتى لمـــن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبـــور

" ومن ذلك قوله " :

(من الوافر)

ولا تحسب مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروه

وكان الناس في عيش رغيد فجاؤوا بالمحال فكدروه

ثم انتقل مرة أخرى إلى نوع آخر من مصادره وهو الرسائل .

فذكر الرسائل التي وقعت بين ابن أبي عمران وبين المعري ملخصة إيثارا للاختصار الذي وعد به ياقوت في مقدمته ، يقول : " قال المؤلف : لم وقفت على هذه القصة اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه حتى ظفرت بمجلد ظريف وفيه عدة رسائل من أبي نصر هبة الله بن موسى بن عمران إلى المعري في هذا المعنى ، انقطع الخطاب

بينهما على المساكنة ، ولم يذكر ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه ونقلها على الوجه يطول فلخصت منها الغرض دون تفاصح المعري وتشدقه " .

وفي حذفه لتشدق المعري ما يدل على حسن خلقه ومعتقده ، وكان أحيانا ما يذكر البيت الأول من أبيات المعري ويقول : " الأبيات " .

اختيارات ياقوت النثرية والشعرية في ترجمة المعري .

مسألة اختيار ياقوت للفقرات النثرية والأبيات الشعرية هذه أعارها ياقوت اهتماما خاصا ، وأعارها تركيزه ، وعمل فيها قريحته ، واستعمل قدرته الأدبية ، فكان ينتقيها على مهل ، بل كان لا ينقل إلا من المصادر الموثوق في صاحبها ، كما ينقل ما يفيد غرضا معينا يريد إثباته ، كأن يثبت مثلا القدرة الأدبية لصاحب الترجمة ، أو ينقل خبرا يدل على كثرة اطلاعه ، أو قصة طريفة حدثت له ، أو خبرا غير مجرى حياته وغير ذلك ، فلم يكن ينقل وحسب ، ففي ترجمة المعري لننظر ماذا اختار من أخبار .

اختار كتابه إلى خاله أبي القاسم بعد وفاة أمه دون علمه ، إذ أن في هذا الكتاب ما يدل على قدرة أبي العلاء الأدبية ، وعلى حسن اختياره للألفاظ التي يستخدمها في تعبيراته ، وكذا قوة استشهاداته وسعة اطلاعه ، فقد ذكر المعري في ثنايا هذا الكتاب قصة كعب بن مامة الذي فضل صاحبه على نفسه فمات عطشا ، واتخذت قصته مثلا بعد ذلك ، يقول المعري : " وردنها بعد سآمة ، وورد كعب بن مامة " ، كما توضح اطلاع المعري على شعر الخوارج فقد استقى بيتين من شعرهم ، يقول :

(من مخلع البسيط)

صلى الإله عليك من مفقودة ... إذ لا يلائمك المكان البلقـــع

أنى حللت وكنت جد فروقة ... بلدا يمر به الشجاع فيفـــزع

وكذا ساق بيتا لجرير يعبر به عن شدة حزنه على فراق أمه . يقول :

(من البسيط)

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانا

وبعد انتهاء هذه الرسالة ذكر رسالة أخرى كتبها المعري إلى أهل معرة النعمان ينبئهم بقدومه ، وهي رسالة خلت من الأبيات الشعرية ، بل هي مجرد رسالة نثرية ، واستقى لنا ياقوت رسالة أخرى بعث بها المعري إلى أبي طاهر المشرف بن سبيكة ، وهذه المرة استشهد المعري بآيات من القرآن الكريم ، كقوله : " فأما سيدي الشيخ أبو عمرو ، فإن اسمه وافق آية ، بلغت بفألها النهاية

وهي قوله جل اسمه :

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ " **(إبراهيم : ٢٤)** " .

وكتب رسالة أخرى كتبها المعري هذه المرة إلى أبي عمرو الإستراباذي في أمر شرح السيرافي ، وفيها استشهاد بآيات من الذكر الحكيم .

وساق لنا ياقوت أبياتا للمعري في أغراض متنوعة ، نقلها من كتب أبي العلاء نفسه من " سقط الزند " و " اللزوميات " و " رسالة الغفران " .

- ما وافق المنهج الذي اتبعه ياقوت في كتابه من خلال ترجمته للمعري.

(١) ذكره للاسم والنسب كاملين .

(٢) ذكره لتاريخي الميلاد والوفاة ومكانهما .

(٣) إيثاره للاختصار .

(٤) الاعتماد على المصادر الموثوق في صحتها ، واعتماده على كتابات الشخص نفسه استخدامه للمصدر السمعي .

(٥) كتابته للأبيات الشعرية التي تخدم الترجمة ولا تضرها ، ولا تشعر أنها زائدة .

(٦) تعليقه على تلك الأبيات الشعرية ، إما بتوضيح معناها أو بالنقد لها .

(٧) اعتماده على الرسائل كمصدر من المصادر الهامة في الترجمة .

(٨) ذكره للأخبار والحكايات التي حدثت لصاحب الترجمة .

(١٠) التزامه بالحيادية المطلقة في كتاباته حيث ذكر أن هناك أناسا يكفرون المعري، ويشككون في دينه ، وأناسا آخرين يجعلونه عابدا زاهدا ، واستشهد لكلا الفريقين بما يثبت كلامه .

(١١) اهتمامه بذكر مؤلفات من يترجم لهم ، ولو كانت كثيرة ، وكان في هذا يعتمد على مصادر موثوق بها .

(١٢) ذكر من له علاقة بالأدب من عائلة الشخصية التي يترجم لها .

هذا ، وقد روى ياقوت للمعري أبياتا في مواضع أخرى غير ترجمته ، ففي ترجمة علي بن هلال الكاتب[(١)] ذكر ياقوت أبياتا للمعري ضرب فيها علي ابن هلال مثلا وذكره في ترجمة محمد بن أحمد الأبيوردي حيث قال ناقلا من خط تاج الإسلام : " وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري ... "[(٢)] وذكر البيت.

وفي ترجمة أسامة بن منقذ كتب ثلاثة أبيات للمعري ، يقول على لسان العماد :

"**قال وتذاكرنا قول أبي العلاء المعري :**

(من البسيط)

لو حط رحلي فوق النجم رافعه ... ألفيت ثم خيالا منك منتظري

(١) " معجم الأدباء " : ٥ / ٢٠٠٠ ، ترجمة ٨٥٢ .
(٢) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٣٦٤ ، ترجمة : ٩٨٧ .

وأبلغ من هذا قول المعري بعد المسافة :

(من الكامل)

وذكرت كم بين العقيق إلى الحمى فجزعت من أمد المدى المتطاول

وعذرت طيفك في الجفاء فإنه يسري فيصبح دوننا بمراحل"(١)

ففي هذه الترجمة تجلى منهج ياقوت الذي سار عليه في كتابه ، من ذكره للنسب وعائلة من يترجم لهم ، والاستشهاد بأبيات المعري الشعرية ، والتعليق على ما ينقل والتقصي للأخبار ، وتتبع المصادر التي تناولت المعري ، وكذا النقل من كتب المعري نفسه وذكره لمؤلفات المعري ، واعتماده على مصادره كلها من نقلية وسمعية ورسائل .

*****

(١) " المصدر السابق " : ٢ / ٥٧٧ ، ترجمة ٢١٨ .